

(الخطر الصليبي : أبعاده ومقاومته)

(من خلال شعر معاصريه)

حلمي الكيلاني

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الاردن

تاريخ قبوله للنشر: ١٩٩٥/٢/٢٥

تاريخ تقديم البحث: ١٩٩٤/٣/٢١

ABSTRACT

This study endeavours to identify the actual dangers of the crusaders and their impact on the area, people and creed as were drawn by muslim poets who participated and experienced the battles and wars that took place between muslims and crusaders. Such poets called for the resistance of such invasion by explicating its dangers.

This study is drawn on the literary works of the above poets. Various literary and historical references have been referred to whenever necessary.

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بالخطر الصليبي، كما رسمه الشعراء المسلمون الذين واكبوا المعارك والحروب التي دارت بين المسلمين والصليبيين في القرنين السادس والسابع الهجريين، من حيث أبعاده المختلفة، على الأرض، والإنسان والعقيدة، ومن خلال الدعوة إلى مقاومته ومظاهر الدعوة إليها، ومن أجل التخلص من أخطار هذا الغزو، وشروره.

وقد اتخذت الدراسة من الشعر المعاصر للأحداث أساساً لها. إضافة إلى المصادر والمراجع الأدبية والتاريخية التي استعانت بها، لتنهض مستوفية مقوماتها الأساسية.

مدخل

بعد الخطاب الحماسي الذي ألقاه أوريان الثاني. في الفرنج. قائلاً لهم: "تقدّموا إلى البيت المقدس، وانتزعوا تلك الأراضي الطاهرة، واحفظوها لأنفسكم، فهي تدّر سمناً وعسلاً، إنكم إذا انتصرتكم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق، وإن خذلتكم، فستقضون حيث مات يسوع، فتخلدون في النعيم الدائم، إذهبوا إلى القتال وسنرتب أموركم وأحوالكم في غيابكم. سأغفر لكم ذنوبكم وخطاياكم بالقوة التي زودني بها الله^(١). زحفت جموعهم التي جُمعت من شتى أنحاء أوروبا، مدعومة بطاقتها المادية والمعنوية، قاصدة أراضي الدولة الإسلامية مستغلة أوضاعها المتردية، وخلافاتها الداخلية من أجل السيادة والسلطان، إذ كانت الدولة الإسلامية في نهاية القرن الخامس الهجري موزعة ما بين دولتين إسلاميتين، وهما: الدولة الفاطمية في مصر، والدولة العباسية في بغداد. وقد كانت الشام مسرحاً للصراع ما بين الفاطميين والسلاجقة الذين يمثلون القوة العسكرية المدافعة عن حقوق الدولة العباسية من جهة، وبين السلاجقة أنفسهم من جهة أخرى، إذ شغل السلاجقة بنزاعاتهم الداخلية بعد وفاة السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان. حتى إن الفرنج حينما وصلوا الشام، وجدوها موزعة في ست دويلات صغيرة متنازعة، وهي: حلب، ودمشق، والقدس، وطرابلس، وأنطاكية، وشيزر^(٢).

ومن أجل ذلك، فقد دبّت الفوضى في بلاد الشام، وتسلى إليها الوهن والضعف لما أصابها من تجزئة وتفرّق وتناحر، وغدت لقمة سائغة للغزاة من الفرنج الذين تمكنوا من بسط نفوذهم على الساحل الشامي عامة، وأجزاء أخرى من الشام، وأصبحوا خطراً يهدد أرض المسلمين وعقيدتهم، مثلما يهددها الكيان الصهيوني في أيامنا هذه.

ومهما يكن من أمر، فإن الأمة الإسلامية لم تعرف في تاريخ صراعتها مع الغزاة حملة أشد خطراً وشراسة من الحملات الصليبية التي شنتها أوروبا باسم الدين، وإنقاذ قبر المسيح^(٣) (عليه السلام) إذ كانت تسعى إلى السيطرة على أرض المسلمين، ونهب خيراتهم، وتعميق الخلافات القائمة بينهم، وإلى تشويه عقيدتهم وطمس معالمها.

وقد عانى المسلمون في بلاد الشام، وغيرها من وجود الكيان الصليبي على أرضهم، وخاصة في بدايات الاحتلال، إذ خلت الساحة من القيادة، وسلبت الأرض، وانتهكت حرّيات الإنسان، وأعملت السيوف في الرقاب، وتعرضت المقدّسات للطمس والتشويه، وقطعت طرق المواصلات، وأرغم الناس على مفارقة أوطانهم وديارهم، وهيمن اليأس والمرارة على الناس، إذ كانوا لا يجدون مَنْ يدافع عنهم، ويردّ حقوقهم المغتصبة، إلى أن هبّ الله لهم القيادة الواعية المؤمنة بعقيدتها وحقوق أمّتها، وعملت على رصّ الصفوف ومواجهة الغزاة، واستعادت بعض البلاد من أيديهم.

ولما كان الشعراء ضمير الأمة، ولسانها المعبر عن همومها وتطلعاتها، فقد اتخذوا من أشعارهم أداة لمقاومة الغزاة، والتحريض على مواجهتهم، وتحرير البلاد المغتصبة من أيديهم، إذ اتخذوا من الكلمة المعبرة الموحية المؤثرة وسيلة لتصوير خطر الفرنج والتصدي لهم، فعملوا بذلك على استثارة الهمم، وشحن النفوس، وحثها على التضحية والموت في سبيل الله ونصرة دينه.

وذلك لأن مقاومة الغزاة بالكلمة، قد رافقت مقاومتهم بالسيف. وهذا أمر أدركه القادة، إذ أحسوا بأهمية الشعراء والأدباء. ومما يؤكد ذلك أن السلطان صلاح الدين قد خاطب جنده بعد تحرير بيت المقدس، قائلاً: "... لا تظنوا أنني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل" (٤).

وحتى تتضح الصورة، ونوضح أن الشعراء المسلمين الذين تحدثوا عن الخطر الصليبي بأبعاده المختلفة، لم ينطلقوا من فراغ، ولم يبنوا ما حذروا منه على السماع والتخيل، نجد أنه من المفيد هنا، أن نورد بعض الروايات العربية والغربية التي صورت جرائم الغزاة بحق السكان الأبرياء، إذ وضعوهم أمام مصيرين لا ثالث لهما: القتل، أو التهجير القسري لمن نجا منهم من سيوف الغزاة.

ففي سنة (٤٩٠هـ)، استباح الغزاة مدينة أنطاكية، فأعملوا السيوف في رقاب أهلها، فيما يذكر ابن القلانسي، وذلك إذ يقول: "... وأما أنطاكية فقتل منها وسبي من الرجال والنساء والأطفال ما لا يدركه حصر" (٥).

وفي سنة (٤٩١هـ)، هاجم الغزاة المعرة، وارتكبوا بحق أهلها أبشع الجرائم، إذ غدروا بهم بعد أن منحوهم الأمان على أموالهم وأنفسهم. يقول ابن لقلانسي: "... وملكوا البلد بعد صلاة المغرب، وقتل فيه خلق كثير من الطرفين، وانهزم الناس إلى دور المعرة للاحتماء بها. فأمنهم الفرنج وغدروا بهم ورفعوا الصليبان فوق البلد، وقطعوا على أهل البلد القطائع، ولم يفوا بشيء مما قرروه ونصبوا ما وجدوه، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به" (٦) ويقول ابن الأثير: "... فوضع الفرنج فيهم السيوف ثلاثة أيام، فقتلوا ما يزيد على مئة ألف، وسبوا السبي الكثير، وملكوه" (٧).

وفي سنة (٤٩٢هـ)، استباح الغزاة بيت المقدس، وارتكبوا فيه مذابح مروعة إذ قتلوا زهاء سبعين ألفاً ممن كانوا به، فيما يذكر ابن الأثير، وذلك إذ يقول: "... وركب الناس السيوف، ولبت الفرنج أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، واحتفى جماعة من المسلمين بمحارب داود، فاعتصموا به، وقتلوا فيه ثلاثة أيام، فبذل لهم الفرنج الأمان، فسلموهم إليهم، ووفى لهم الفرنج، وخرجوا ليلاً إلى عسقلان، فأقاموا بها. وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبّادهم، وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف" (٨).

وفي السنة نفسها، هاجم الغزاة عسقلان، وفعلوا بسكانها ما فعلوه بسكان القدس، إذ قتلوا، وسفكوا الدماء، وقد وصف ابن القلانسي هذه المجزرة، فقال: "... وتمكنت سيوف الإفرنج من المسلمين، فأتى القتل على الرجال، والمطوعة، وأهل البلد، وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس،... وحكي أن الذين قتلوا في هذه الواقعة من أهل عسقلان من شهودها، وثباتها، وتجارها، وحداتها، سوى أجنادها، ألفان وسبعمئة نفس" (٩).

وفي سنة (٤٩٣هـ)، استباحوا قيساريّة بالسيف، فقتلوا أهلها، ونهبوا ما فيها، وعندما احتّمى بعضهم في الجامع، تبعهم الصليبيون، وذبحوهم عن آخرهم، دون أن يفرّقوا بين الرجال والأطفال والنساء، حتى تحوّل الجامع إلى بركة كبيرة من دماء المسلمين (١٠).

وهكذا كان الصليبيون يفعلون في سكان كلّ مدينة أو قرية يدخلونها في بلاد الشام (١١) إذ كانوا يتعمّدون ذلك، حتى ينشروا الفرع في النفوس.

وأما الروايات الغربيّة التي تحدّثت عن جرائم الصليبيين التي ارتكبوها بحق الإنسان، فتتفق في فحواها مع ما أورده المؤرّخون المسلمون، ومع ما حدّر منه الشعراء، وتحدّثوا عنه. وهي روايات ذات قيمة خاصّة، لأن أصحابها كانوا ممن رافقوا الحملات الصليبيّة، وشهدوا الأحداث، والجرائم التي ارتكبتها أبناء جلدتهم بحق السكان. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، وصف الرّاهب وليم الصوري لما فعله الصليبيون بأهل المعرّة، وذلك إذ يقول: "... ثارت جماهير الفقراء (Tafurs) من الصليبيين واندفعت تقتل كلّ من بقي من المسلمين في المعرّة، ثمّ توجّهت نحو أسوار المدينة وتحصيناتها فدّمرتها كلياً" (١٢). ووصفه للمجازر البشعة التي ارتكبت في بيت المقدس، وذلك إذ يقول: " واندفعوا هنا وهناك خلال شوارع وساحات المدينة مستلين سيوفهم، وبحماية دروعهم وخوذهم، وقتلوا جميع من صادفوا من الأعداء (المسلمين) بصرف النظر عن العمر والحالة، ودونما تمييز. فقد انتشرت المذابح المخيفة في كلّ مكان، وتكدّست الرؤوس المقطوعة في كلّ ناحية بحيث تعذر الانتقال على الفور من مكان لآخر إلا على جثث المقتولين. وكان القادة قد شقّوا في وقت سابق طريقاً لهم بواسطة مسالك متنوّعة إلى مركز المدينة تقريباً، وأحدثوا عندما تقدّموا قتلاً لا يوصف، وتبع موكبهم حشد من الناس متعطشين لدماء الأعداء، ومصممّ تصميماً كاملاً على إبادتهم" (١٣). ويقول في موضع آخر: "... ولقد كانت المجزرة التي اقترفت في كلّ مكان من المدينة مخيفة جداً، وكان سفك الدماء رهيباً جداً، لدرجة عانى فيها المنتصرون من أحاسيس الرعب والإشمئزاز" (١٤). ويضيف الراهب ديموند داجيل "... وشاهدنا أشياء عجيبة، إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رمياً بالسهم، أو أرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج، وظلّ بعضهم الآخر يعذبون عدّة أيام، ثمّ أحرقوا بالنار، وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس، والأيدي، والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده، يسير بين جثث الرجال والخيل" (١٥).

ويقول الراهب التقي روبرت الذي دخل بيت المقدس مع أبناء جلدته واصفاً أعمالهم بمنتهى الدهشة والاستغراب: "... كان قوماً يجوبون الشوارع والميادين، وسطوح البيوت، ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبوءات التي خطفت صغارها، وكانوا يذبجون الأولاد والشبان والشيوخ، ويقطعونهم إرباً إرباً، وكانوا لا يستبقون إنساناً، وكانوا يشنقون أناساً كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، فيا للعجب، ويا للغرابة أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلحة بأمضى سلاح من غير أن تقاوم! وكان قوماً يقبضون على كل شيء يجدونه، فيبقرون بطون الموتى، ليخرجوا منها قطعاً ذهبية، فيالللشره وحبّ الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجنث، فيا لتلك الشعوب المعدّة للقتل!" (١٦).

ومما تقدّم، يتبين لنا أن الصليبيين الغزاة كانوا يتعمّدون إثارة الرعب في المدن والقرى التي استباحوها في بلاد الشام، فذاق أهلها شتى ألوان القتل والتعذيب والتدمير، إذ أعملوا السيوف في رقابهم دونما رحمة أو شفقة. "... وكان من أحبّ ضروب اللهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال، وتقطيعهم إرباً إرباً، وشيهم كما روت آن بنت قيصر الروم (١٧). وكانوا كلّما دخلوا بلدًا قتلوا أهله، وطمسوا معالمه وآثاره، وخربوا عمرانته وكيفينا للتدليل على ذلك أن نذكر أنهم حينما دخلوا أنطاكية خربوها وأحرقوا مكتبتها العامرة (١٨).

وقد حملهم الحقد الدفين والكرهية العمياء للأمة الإسلامية، إلى النظر إلى دمائها على أنها وسيلة من وسائل التطهير، تطهير مقدّساتهم التي اغتصبها منهم المسلمون حينما دخلوا بلاد الشام إبان الفتوح الإسلامية، وفق ما أورده وليم الصوري، حيث يقول: "... كان حكم الله القويم الذي قضى على الذين دنّسوا حرم المسيح بطقوسهم الخرافية وجعلوه مكاناً غريباً بالنسبة لأهله المؤمنين أن يكفّروا عن خطاياهم بالموت، وأن يطهروا الأروقة المقدّسة بسفك دمائهم (١٩).

وقد جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على دور الشعر والشعراء، إبان الحروب الصليبية، في إظهار الخطر الصليبي في أبعاده المختلفة ممثلة في الخطر على الإنسان، والأرض، والعقيدة والتراث، وفي وسائلهم التي اتّبعوها للتخلص من خطر الغزاة وشرهم الذي عمّ البلاد.

أولاً: الأبعاد:

شكّل الغزو الصليبي لبلاد الشام خطراً حقيقياً على الإنسان العربي المسلم، من حيث وجوده، وعقيدته، وأرضه، وحضارته، ومقومات حياته، ومصادر رزقه، مثلما كان خطراً على حرّيته وتنقله داخل البلاد، ومنها وإليها؛ وذلك لأنّ الغزو الصليبي، لم يكن مجرد غزو عسكري خاطف، تقوم به الجيوش، ثم تعود إلى مواطنها، وإنما هو غزو استيطاني يسعى إلى السيطرة

على الأرض، وإلى القضاء على المسلمين، وعقيدتهم وإلى طمس حضارتهم وثقافتهم؛ وإزاء هذا فقد أحضروا معهم عائلاتهم من النساء والأطفال، وكلّ ما يتصل بهم لغايات التوطن والإستقرار.

وقد أدرك الشعراء الذين عاصروا الحروب الصليبية، واكتووا بنارها وويلاتها أبعاد هذه الحروب ومخاطرها. ومن أجل ذلك، فقد استأثرت الحروب الصليبية باهتمامهم، فكانت محور شعرهم ودينه، إذ بدا الحديث عن الخطر الصليبي واضحاً جلياً في أشعارهم وقصائدهم التي واكبت الحروب الصليبية منذ بدايتها، فقد تجلّى الحديث عنه في معظم الموضوعات والفنون، وخاصةً قصائد المديح التي تغنت بالبطولة الإسلامية، وقصائد رثاء الأشخاص والمدن التي وقعت في أيدي الغزاة، وفي القصائد التي صوّرت جرائم الغزاة، وما ارتكبه بحق السكان، والأشعار التي صوّرت الانتصارات وحضّت على الوحدة والتحرير.

ومن هنا، فقد حرص الشعراء على تصوير الخطر الصليبي، وإبرازه بصورة مضخّمة، حتى يتجسّد في أذهان الناس، ويتبصروا بفداحته وأبعاده، ويتصدّوا له بكلّ ما لديهم من طاقات. وقد تجلّى ذلك في الأبعاد التالية:

أ- الخطر على الإنسان :

في إطار الخطر الصليبي على الإنسان، كان الشعراء المسلمون يتحدثون عن جرائم الغزاة، وعمّا ارتكبه من جرائم بشعة بحق الإنسان العربي المسلم الذي كان يعيش في وطنه وأرضه آمناً مطمئناً، يقيم حيث يشاء، ويتقلّب حيث يريد، إذ يرى الشعراء أنّ الغزاة جاءوا إلى البلاد الإسلامية متعطّشين للقتل وسفك الدماء، وأنهم لم يتورّعوا عن قتل الشيوخ والأطفال، والنساء. ولذا فإنّ مشاهد القتل، والتتكيل كانت من المعالم الواضحة في إطار الصورة العامّة للخطر على الإنسان. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، قول الأبيوردي مصوراً جرائم الغزاة في الشام، حينما دخلوها سنة اثنتين وتسعين وأربعمئة (٢٠).

تواري حياءُ حُسْنَهَا بالمعاصم
وسُمُرُ العوالي دامياتُ اللّهاذم
تظلُّ لها الولدانُ شيبَ القوادم

وكم من دماء قد أبيضت ومن دُمى
بحيثُ السُيوفُ البيضُ محمّرةُ الطبا
وبين اختلاسِ الطغْنِ والضربِ وقفة

وقول ابن الخياط (٢١):

ولا يعرفون مع الجور قصدا
ولا يتركون من القتل جهدا

بنو الشرك لا ينكرون الفساد
ولا يردعون عن القتل نفساً

وقول طلائع بن رزّيك مؤكّداً جرائمهم بحق أهل الشام، حيث يقول (٢٢):

لطنين السُّيوفِ في فلق الصُّبْحِ على هامِ أهلِها تطريبُ
ولجَمع الحُشودِ من كلّ حصنٍ سلبُ مَهملٍ لهم ونُهوِبُ

وقد كانت صورة المرأة المسلمة، وما لحقها من قتل وسبي من المشاهد التي رسمها الشعراء، وخاصة في المرحلة الأولى من الصراع، إذ قدّموها لنا متكشّفة بعد أن كانت مصونة منعمّة، فأصبحت هدفاً لسيوف الغزاة، واعتداءاتهم. ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر المجهول (٢٣) معرّضاً بالقاعدين عن نصرة المرأة، وحمايتها:

أتسبى المسلمات بكلّ ثغر
أما لله والإسلام حقّ
وعيشُ المسلمين إذا يطيبُ
يدافعُ عنه شُبّانٌ وشيْبُ

وقول ابن الخياط، مصوراً ما أصاب المرأة المسلمة من خوف وتكشّف، حيث يقول (٢٤):

فكَم من فتاة بهم أصبحت
وأُمّ عواتق ما إن عرف
تدقُّ من الخوفِ نَحراً وخدّاً
نَ حرّاً ولا دُقن في الليل برداً
تكادُ عليهم من خيفةٍ
تذوبُ وتتلفُ حزناً ووَجداً

ويبدو أنّ حرص الشعراء المسلمين على التذكير بكرامة المرأة المسلمة، وتصوير ما أصابها على أيدي الغزاة، قد لا يكون الحافز إليه تصوير ما أصابها، وتعرّضت له، بقدر ما كانوا يسعون إلى إثارة النخوة والحميّة في نفوس المسلمين، وحفزهم على رص الصفوف لمواجهة الغزاة والتصديّ لهم، إذ تحتلّ المرأة مكانة مرموقة في نفس الإنسان المسلم، ويأتي الدفاع عنها في المرتبة الثانية، بعد العقيدة الإسلامية.

ويؤكّد الشعراء أنّ الغزاة، حينما دخلوا بلاد الشام، قد بالغوا في البطش، وسفك الدماء، إذ كانوا يتعمّدون إرتكاب الجرائم؛ حتى يوقعوا الفزع في نفوس السكّان، ويرغموهم على ترك ديارهم وأوطانهم ويستقروا مكانهم. وهذا واضح في شعر طلائع بن رزّيك. مشيراً إلى عمليات التهجير القسري (٢٥).

لهفَ نَفسي على ديار من السُكّ
ان أقوتُ فليسَ فيها عريبُ

ويتفق ما أورده ابن رزّيك مع ما أورده وليم الصوري الذي شهد جرائم قومه بحق المسلمين وديارهم، حيث يقول مصوراً دخول الغزاة بيت المقدس، بعد استباحته: "وأدعى كلّ واحدٍ من المغيرين ملكيّة دائمة للمنزل الذي كان اقتحمه. وذلك بالإضافة إلى تملك كلّ ما كان موجوداً فيه" (٢٦).

ومن هنا، فقد تنبّه الشعراء إلى فداحة خطر الغزاة الذي قد يمتدُّ إلى خارج بلاد الشام،

فيطال البعيدين عنها، ولذا، فقد عملوا على تحذير المسلمين من خطرهم وشرهم الذي لا يفرق ما بين مسلم وآخر. ومن ذلك قول الأبيوردي (٢٧):

فإيهأ بني الإسلام إن وراءكم وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتهويمة في ظل آمن وغبطة وعيش كنوار الخميعة ناعم؟!

ويتحدث الشعراء عن الحقوق الفردية المغتصبة، والحريات المسلوقة التي عانى منها الإنسان المسلم في بلاد الشام، بسبب الغزو الفرنجي، وهذا واضح في قول شاعر مجهول (٢٨):

أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح وسيف قاطع ودم صيب
وكم من مسلم أمسى سلياً ومسلمة لها حرم سليب

كما تحدثوا عن الحقوق الجماعية التي سلبها الفرنج أهل الشام، ممثلة في حرمانهم من التنقل داخل بلادهم، ومنها وإليها، إذ ضيقوا الخناق على الناس يحصونهم وقلاعهم المنيعه التي أقاموها في بلاد الشام؛ ليعملوا على تفكيك أوصالها من ناحية، ويقطعوا طرق المواصلات والاتصالات بين البلاد، والدول الإسلامية من ناحية أخرى. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، قول العرقلة الدمشقي مخاطباً صلاح الدين الأيوبي (٢٩):

وهيهات والإفرنج بيني وبينكم سياج قتل دونهُ وأسير
وقول عمارة اليمني، حينما هاجموا دمياط محذراً من خطرهم (٣٠):

جلبوا إلى دمياط عند حصارها عزّ القوي وذلة المغلوب
وجلوا عن الإسلام فيها كربةً لولم يجلوها أتت بكروب
فالناس في أعمال مصر كلّها عتقواؤهم من نازح وقريب

ذلك لأن الغزاة مع ما نشره في بلاد الشام من خوف وفزع، ظلوا يحسّون أنهم غرباء دخيلون عليها، فأمعنوا في إقامة الحصون والقلاع وتحصينها، حتى يحموا أنفسهم من أي خطر قد يطرأ، ويراقبوا تحركات المسلمين المدنية والعسكرية، ويضعفوا من روحهم المعنوية، لأنهم قد لا يتمكنون من النيل منهم وهم في حصونهم المنيعه التي اختاروا لها قمع الجبال الشاهقة، المحاطة بالأودية السحيقة. ولذا فإن صلاح الدين حينما خلص البلاد المغتصبة من أيدي الغزاة، أعاد للإنسان المسلم الحرية والكرامة، وأشعره بالطمأنينة والأمان، فيما يذكر ابن جبير، وذلك إذ يقول مخاطباً صلاح الدين (٣١):

وأمتت أكناف البلا د فهان السبيل على العابر

ومع كل الجرائم والمجازر الوحشية التي ارتكبتها الغزاة بحق المسلمين حينما أخذوا البلاد في نهاية القرن الخامس الهجري، فقد عاملهم المسلمون حينما استنقذوا البلاد من أيديهم سنة ٥٨٣هـ، معاملة إنسانية جاءت منسجمة مع تعاليم الإسلام، وقوانينه التي شرعها للحرب والقتال، إذ لم يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة، ولم يخربوا عامراً، ولذا فقد قابل الشعراء بين ما ارتكبه الغزاة بحق المسلمين، وبين موقف المسلمين المنتصرين منهم يقول ابن عنين (٣٢):

منحنا بقاياهم حياةً جديدةً فعاشوا بأعناق مقلدةٍ مِنَّا
ولو ملكوا لم يأتلوا في دماننا ولُوغاً ولكننا ملكنا فأسججنا

وهذا أمرٌ أدركه الغربيون أنفسهم، وشهدوا به للمسلمين. يقول رنسيما: "... الواقع أن الظافرين اشتهروا بالإستقامة والإنسانية، فبينما كان الفرنج منذ ثمان وثمانين سنة يخوضون في دماء ضحاياهم، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة - بناءً على أوامر صلاح الدين - يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء على المسيحيين" (٣٣):

ب- الخطر على العقيدة:

لقد بات من نافلة القول إنَّ الحروب التي شنتها أوروبا بتحريض من الكنيسة في أواخر القرن الخامس الهجري، على المشرق الإسلامي هي حربٌ دينيةٌ تسعى إلى القضاء على الإسلام والمسلمين، والسيطرة على أرضهم، ذلك لأن: "... رجال الدين المسيحي لم يستطيعوا نسيان الخسارة التي لحقت بهم وبكنيستهم نتيجة لانتشار الإسلام في بقاع واسعة من الأراضي التي كانت المسيحية تتزعم الأديان فيها، وهذا جعل رجال الكنيسة يشعرون دائماً بالرغبة في الإنتقام من الإسلام والمسلمين" (٣٤).

وهذا أمرٌ أكدّه لنا الواقع العملي الذي مارسه الغزاة في بلاد الشام، بعد أن سقطت بأيديهم. وإلا لماذا يُقتل الأطفال والنساء والشيوخ، ولماذا تهاجم الحجاز ومكة، مع قلة مواردهما الاقتصادية والمادية آنذاك؟

ومن هنا، فقد أدرك المسلمون أنَّ عقيدتهم مستهدفة، وأنَّ الغزاة يسعون إلى طمسها وتشويه مظاهرها التعبديّة، إذ عملوا على طمس معالمها، وحولوا المساجد فيها إلى أديرة، وحرّقوا المصاحف، وأعواد المنابر، وأقاموا مكانها الصليبان والطواغيت. وكفينا للتدليل على ذلك أن نورد ما فعلوه بالأماكن الإسلامية المقدّسة في بيت المقدس حينما دخلوه فيما يذكر ابن القلانسي، وذلك إذ يقول: "... وهاجموا البلد فملكوه، وانهزم بعض أهله إلى المحراب، وقتل خلق كثير.. وتسلموا المحراب بالأمان في الثاني والعشرين من شعبان وهدموا المشاهد، وقبر الخليل (عليه السلام) (٣٥).

ويصف العماد الأصفهاني التغيرات التي قام بها فرسان الداوئية في المسجد الأقصى، وما فعلوه بالصخرة المشرفة، إذ غيروا رسومها وأقاموا عليها كنيسة ومذبحاً، وستروها بالأبنية، وزينوها بالصور والتماثيل (٣٦).

ولذا فقد مضى الشعراء يحذرون الأمة العربية المسلمة من خطر الغزاة على عقيدتها، ومن ممارساتهم التي يقومون بها تجاه مظاهرها التعبدية، وقد تجلّى ذلك في أشعارهم التي وجهوها إلى الأمة حينما سقطت البلاد بأيدي الغزاة، أو التي دفعوها إلى حكام عصرهم الذين تزعموا حركة الجهاد الإسلامي طوال فترة الصراع مع الغزاة، أو في الأشعار والقصائد التي تحدثوا فيها عن تحرير البلاد (٣٧)، وعودة بيت المقدس إلى حمى الإسلام ومقارنتهم ما بين وضعها تحت نير الاحتلال، وبين وضعها وقد تخلصت من المغتصبين.

ففي أول ردّة فعل لسقوط البلاد بأيدي الغزاة، يتحدث شاعر مجهول عن جرائم الغزاة بحق العقيدة الإسلامية، ومظاهرها التعبدية، محذراً من طمس معالمها فيقول (٣٨):

وكم من مسجد جعلوه ديراً على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوق وتحريق المصاحف فيه طيب

ويقول ابن منير الطرابلسي، مخاطباً نور الدين زنكي، مذكراً بما أصاب العقيدة ومظاهرها من تشويه وتحريق (٣٩):

أيّا محيي العدل لما نعاه أيامي البرايا وأيتامها
ومُستقَدِّ الدين من أمة أزال المحارب أصنامها

ويقول طلائع بن رزيك، مؤكداً الفكرة نفسها (٤٠):

منزل الوحي قبل بعث رسول الله ه فهو المحجوج والمحجوب
نزلت وسطه الخنازير والخم ر وبارى النافوس فيه الصليب
لو رآه المسيح لم يرض فعلاً زعموا أنه له منسوب
أبعد الناس عن عبادة رب الله اس قوم إلههم مصلوب

وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ الشعراء كانوا يدركون أبعاد الخطر الصليبي على العقيدة الإسلامية ومظاهرها، إذ تنبهوا إلى المغزى الحقيقي الذي يسعى إليه الغزاة. ولذا فإنّهم يحرصون على مواجهتهم والتصديّ لهم، حتى لا يتمكنوا من تحقيق مآربهم. وهذا واضح في قول ابن الساعاتي مخاطباً صلاح الدين (٤١):

ولو رجعت مصر إلى الكفر لانطوى بساط الهدى من ساحة البر والبحر

وفي قول الكناني محذراً الكامل من التهاون في أمر الفرنج، وذلك إذ يقول (٤٢):

والثغرُ ناظرُهُ إليك محدّق
ولئن قعدتَ عن القيام بنصره
ووهتَ قُوَى القرآن فيه ورُفِعَتْ
وعلا صدى الناقوسِ في أرجائه
ويصرخ ابن النبيه، وقد استبدّ به الألم مما فعله الغزاة بعقيدته، فيقول (٤٣):

الله أكبرُ أنْ تمشي مزامرُهُم
وأنْ يخورَ على القرآن عجلُهُم
تُتلى وتُتسى مِنَ القرآن آياتُ
جَهراً ويخفى أذانُ أو تلاواتُ!!

هذا وقد كانت المحاولة الفاشلة التي قام بها أرناط، صاحب الكرك، إلى بلاد الحجاز (٤٤)، وتهديده للأماكن المقدسة فيها، مصدر قلق وتخوّف لدى الشعراء المسلمين، إذ أحسّوا أنّ هذه الحملة تسعى إلى ضرب الإسلام في عقر داره، فيما يذكر ابن الذروي، وذلك إذ يقول مخاطباً حسام الدين لؤلؤاً قائد الأسطول البحري الذي أفضل محاولة أرناط، وقضى عليها (٤٥):

كَفَيْتَ أَهْلَ الْحَرَمِينَ الْعِدَا
وَدُدْتَ عَنْ أَحْمَدَ وَالْكَعْبَةَ

ولذا، فقد ظلّ الشعراء المسلمون يعبّرون عن تخوّفهم من المساس بأساس عقيدتهم، ويحذّرون الأمة والقادة من الاعتداء عليها، طوال فترة الصراع مع الغزاة، وخاصةً إثر أيّ انتصار يحققه المسلمون، حتى غدت هذه القضية لحناً مميزاً في قصائدهم وأشعارهم، ذلك لأنّهم أحسّوا أنّ تشويه الغزاة وتطاولهم على العقيدة الإسلامية ومظاهرها لن يكون داخل الشام وحسب، وإنّما قد امتدّ إلى الحجاز منبع العقيدة وأساسها. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، قول ابن الساعاتي مخاطباً العادل بن أيّوب (٤٦):

حَمَى الْقُدْسُ مِنْ زُرُقِ الْأَعَادِي بِسُمْرِهَا
شَكَأَ أَهْلُهَا دَائِي مَحُولٍ وَخَيْفَةٍ
فَمَا نَجِدُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا نَحْطَأَ مَا
وَمَا صَانَهَا دَاراً تَحُلُّ وَأَخْتَهَا
فَأَجْرِي عَلَى أَعْطَافِهَا الْمَاءَ وَالْدَّمَ
وَلَكِنَّهُ صَانَ الْخَطِيئَةَ وَزَمَرَهَا

وقول فتيان الشاغوريّ مادحاً تورانشاه بن أيّوب، إثر حصار دمياط، مؤكّداً الفكرة نفسها (٤٧):

وَكَمْ عَزْمَةٌ لَكَ شَازِيَةٌ
مَنْحَتْ بِهَا الدِّينَ فَتَحاً مُبِيناً
إِلَى الْمَجْدِ تَأْوِيئُهَا أَوْ سَرَاهَا
فَكَمْ مِنْ بِلَادٍ أَعَارَ دَهَاها
حِجَازٌ وَكَعْبَتُهُ عَنْ أَذَاهَا
وَصُنَّتْ بِهَا حَرَمَ اللَّهِ وَالِ

وفي قول ابن عنين في رثاء الملك المعظم عيسى بن الملك العادل، محدّراً من خطر الغزاة على العقيدة، ومظاهرها التعبدية على مصر والحجاز (٤٨):

لولا دِفَاعُكَ بالصَّوَارِمِ والقنا	عن حَوْزَةِ الإسلامِ عادَ كما بدا
وديار مصر لو وَنْتَ عَزَمَاتِهِ عن	نصرها لتَمَكَّنْتَ فيها العدا
ولأَمَسْتَ البِيضَ الحرائِرُ أسهماً	فيها سبايا والموالي أعبداً
ولأَصْبَحْتَ خَيْلُ الفرنجِ مغيرةً	تجتأبُ ما بين البقيعِ إلى كُدَى
وبثغر دمياط فكم من بيعةٍ	عُبد الصَّلِيبُ بها وكانت مسجداً
أجليت ليلَ الكفرِ عنها فانطوى	وأنرتَ في عرُصاتها فجرَ الهدى

وقد تجلَّى الحديث عن الخطر الصليبيّ على العقيدة الإسلامية، ومظاهرها التعبدية، في القصائد والأشعار التي رفعها الشعراء إلى القادة المسلمين عامة، وصلاح الدين الذي تزعم حركة التحرير، واستردّ المدن الإسلامية من أيدي الغزاة خاصة، إذ كانوا يقابلون بين وضع العقيدة قبل التحرير وبعده. وذلك واضح في قول العماد الأصفهاني مخاطباً صلاح الدين، إثر تحرير بيت المقدس (٤٩):

وطهرته من رجسهم بدمائهم	فأذهبت بالرجس الذي أذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قُدس أهلها	وألبستها الدين الذي كشف اللبسا
وعادت ببيت الله أحكام دينه	فلا بطرقاً أبقيت فيها ولا قسناً
وقد شاع في الآفاق عنك بشارة	بأن أذن القُدس قد أبطل النقسا

وقول الرّشيد النابلسيّ معبراً عن فرحته بزوال خطر الغزاة عن القدس، وعودتها إلى حمى الإسلام بعد ما لحقها من ضيم وتشويه، وذلك إذ يقول (٥٠):

يا بهجة القدس إذ أضحى به علم الإ	سلام من بعد طي وهو مُنتشر
يا نور مسجدہ الأقصى وقد رُفِعَتْ	بعد الصَّلِيبِ به الآياتُ والصُّورُ
شتان ما بين نافوس يُدانُ به	وبين ذي منطق يُصغي له الحجرُ
الله أكبر صوتٌ تَشعُرُ له	شمُ الذرى وتكادُ الأرضُ تنفطرُ

ويبدو أنّ حرص الشعراء المسلمين على العقيدة الإسلامية ومظاهرها التعبدية، وإحساسهم بخطورة الصليبيين، وأهدافهم الرّامية إلى إذلال المسلمين، والنيل من عقيدتهم، جعلهم يلتفون حول أية قيادة إسلامية تحاول أن تتصدى للغزاة، وتضع حداً لأطماعهم، وممارساتهم، إلى أن وجدوا ضالتهم المنشودة في عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين زنكي، ثم صلاح الدين الأيوبي، إذ رأوا فيهم الأمل المنتظر لتحرير الأرض من ناحية، وحماية العقيدة، ونصرتها من ناحية أخرى، ولذا فإنّني لا أبالغ حين أقول: إننا قد لا نظفر بقصيدة شعرية إبان الحروب الصليبية، تخلو من الإشارة إلى الخطر على العقيدة والتأكيد على نصرتها، سواء أكان ذلك في

قصائد المديح أم غيرها، إذ كان الدِّفاع عن العقيدة ونصرتها، والعمل على إحيائها في البلاد المغتصبة، صفة أساسية من صفات البطل ومعلماً بارزاً من معالم شخصيته ومقوماتها، وخاصة في مرحلتها المواجهة والتحرير. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول ابن منير الطرابلسي في تمجيد نور الدين زنكي (٥١):

ومستقذ الدين من أمةٍ أزال المحريب أصنامها
وقوله أيضاً (٥٢):

وكم عبّر الصليبُ بهم صليباً فردّته قناك وفيه لينُ
وما خطرت بدار الشُّركِ إلّا هوى الناقوسُ وارتفع الأذنينُ
وقول السخاوي في تمجيد صلاح الدين، إثر تحرير بيت المقدس (٥٣):

ومخلّص البيت المقدس بعدما رُفِعَ الصليبُ على ذُراه مُجدداً
من بعد ما درست معالمُ سُبُلِهِ دهرًا وعزّ لُخوفِها أن يُقصداً
وقول ابن عنين مخاطباً الملك الأشرف موسى بن العادل (٥٤):

ورفعت للدين الحنيف منارةً فعلا وكنّت بنصره متكفلاً
لولاك لانقصمت عرى الإسلام في مصر وأخمل ذكره وتبدلاً
وتحكمت فيها الفرنج وغادرت أعلاجها محرابَ عمرو هيكلًا

ج- الخطر على الأرض :

مع أن الصليبيين الذين هاجموا الشرق الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري، حاولوا أن يضيفوا على حملاتهم التي قاموا بها الصبغة الدينية (٥٥): إلا أن الواقع العملي السلوكي الذي مارسوه في البلدان الإسلامية المغتصبة، وما ارتكبهوا بحق أهلها وسكانها من جرائم يكشف لنا عن دوافعهم الحقيقية وأطماعهم، ويدلُّ دلالة واضحة على أنهم كانوا يسعون إلى ابتلاع الأرض الإسلامية والسيطرة على خيراتها ومقدّراتها. وهذا أمر تنبّه له ابن الأثير الذي ردّ هذه الحملات إلى الرغبة في التوسّع والاستيلاء على الأراضي الإسلامية (٥٦).

ويكفي للتدليل على ذلك أن نذكر أنهم حينما وصلوا الشام، أقاموا على أرضها مستعمراتهم الأربع المعروفة بـ (إمارة الرها)، و (إمارة أنطاكية) و (إمارة طرابلس)، ثم (إمارة بيت المقدس)، وأنهم استمروا في التوسّع، وعملوا على زيادة أملاكهم ونفوذهم، إذ لم يكتفوا باحتلال بيت المقدس، والساحل الفلسطيني، وإنما كانوا يتطلّعون إلى السيطرة على الساحل الشاميّ كله، مع أنهم أكدوا لصاحبي حلب ودمشق - وهم يحاصرون أنطاكية - بأنهم لا يقصدون غير البلاد التي كانت بيد الروم (الرها، وأنطاكية، واللاذقية) (٥٧)، ولا يطلبون غيرها.

ومما يؤكد لنا أطماعهم الإستعمارية التوسعية، أنهم كانوا يسعون إلى تفرغ الأرض من سكانها المسلمين وبكل الطرق والوسائل الممكنة، إذ كانت شهوتهم الإستعمارية وأطماعهم لا تتوقف، ولذا فإنهم بعد أن بسطوا نفوذهم على ساحل فلسطين، واغتصبوا بيت المقدس، تطلّعوا إلى السيطرة على أقليم الجليل، ثم بدأوا يوسّعون مناطق نفوذهم، فهاجموا ريف طبريا، وريف دمشق (٥٨).

وكان كلُّ أمير من أمرائهم يسعى إلى توسيع منطقة نفوذه، ويشكّل خطراً حقيقياً على الأراضي الإسلامية والبلدان المجاورة، فكان (جوسلين) صاحب الرّها يهدد شمال الشام، فوصلت غاراته إلى آمد، ورأس العين، والرقّة، ونصيبين، وغيرها (٥٩).

ومهما يكن من أمر، فإنّ الصليبيين قد نجحوا في تحقيق أهدافهم الإستطانية التوسعية، إذ بسطوا نفوذهم على الساحل الشامي من أنطاكية شمالاً، إلى عسقلان بفلسطين جنوباً وأقاموا كياناتهم في قلب الوطن الاسلامي، وتحكموا في منافذه البرية والبحرية، وعملوا على تمزيق وحدته وهددوا بقية أجزائه ممثلة في الحجاز والعراق ومصر. كما بسطوا نفوذهم من ماردين إلى العريش. وخضعت لهم حرّان والرقّة، وقطعوا كلّ الطرق المؤدية إلى دمشق إلا عن طريق الصحراء، فيما يذكر أبو شامة المقدسي، وذلك إذ يقول: "وكان الفرنج قد اتسعت بلادهم، وكثرت أجنادهم، وعظمت هيبتهم، وزادت صولتهم، وامتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم، وضعف أهلها عن كف عاديهم، وتتابع غزواتهم وساموا المسلمين سوء العذاب، واستطار في البلد شرر شرّهم، وامتدت مملكتهم من ناحية ماردين وشبختان إلى عريش مصر، لم يتخللها من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص ودمشق. وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر إلى آمد، ومن ديار الجزيرة إلى نصيبين ورأس عين. أمّا الرّقّة وحرّان، فقد كانوا معهم في ذلّ وهوان. وانقطعت الطرق إلى دمشق، إلا على الرحبة والبرّ" (٦٠).

وزيادة على ما تقدّم، فإنّ الصليبيين أرادوا أن يحدّثوا شُرخاً ما بين مصر وبلاد الشام من جهة، وبين مشرق الوطن الإسلامي ومغربه من جهة أخرى. ومن أجل ذلك فقد سيطر (بلدوين) صاحب بيت المقدس على وادي عربة، والكرك والشوبك، حتى يقطع الإتصال ما بين مصر والجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام (٦١). ولذا فقد أدرك الشعراء المسلمون الأهداف الحقيقية التي يسعى إليها الغزاة فأخذوا يحدّثون الأمّة من خطورتهم، وأطماعهم في أرضها؛ ذلك لأنهم أحسوا أن السكوت عمّا يسعى إليه الغزاة والتهاون في سقوط المدن الإسلامية بأيديهم، لا يجعل غيرها من المدن والبلدان في مأمن، وإنّ كانت بعيدة عن ساحة الصراع، لأنّ أطماع الغزاة التوسعية لا تقف عند احتلال الشام. وذلك على نحو ما نرى في قول الأمير عبدالمحسن الحلبي، مخاطباً الخليفة العباسي، حينما حاصر الفرنج الطور (٦٢):

قُلْ للخليفة لا زالت عساكرُهُ لها إلى النّصرِ إصدارٌ وإيرادٌ

إنَّ الفرنجَ بحصن الطُّور قد نزلوا
لا يفعلنَ فحَصَنُ الطُّور بغدادُ
ويؤكدُ البهاءُ زهير أنَّ أطماعَ الغزاة من الصليبيين لم تكن مقتصرة على الأراضي التي سقطت بأيديهم. وإنما تتجاوز ذلك إلى معظم الأراضي الإسلامية، وخاصة مصر والحجاز وبغداد وذلك إذ يقول (٦٣) في مدح الكامل إثر انتصاره في معركة دمياط:

وما فرحتُ مصرُ بذلكَ وحدها
لقد فرحتُ بغدادُ أكثرُ من مصرِ
فلو لم يقم بالله حقَّ قيامه
لما سلمتُ دارُ السَّلام من الدُّعْرِ
وأقسمُ لولا همَّةُ كامليَّةٍ
لخافتُ رجالُ بالمقامِ وبالحجرِ
كفى الله دمياطَ المكاره إنَّها
لن قبلةُ الإسلام في موضع النحرِ

ولذا، فقد نظر الشعراء إلى استعادة الأراضي الإسلامية المغتصبة عامَّة، وبيت المقدس خاصة، نظرة إجلال وتعظيم؛ لما لها من مكانة وقداصة في نفس الإنسان العربي المسلم وضميره، وذلك لأنَّه لا ينظر إلى الأرض على أنَّها مجرد تراب أو وطن. وإنما ينظر إليها على أنَّها جزء لا يتجزأ من عقيدته التي يموت من أجلها، ويضحِّي بماله ونفسه وأهله، لتظلَّ عزيزة، عسيرة المنال. ولذا، فقد كان الحديث عن الأرض المغتصبة قضيةً محوريةً، ولحناً مميّزاً يردده الشعراء المسلمون في أشعارهم وقصائدهم، وخاصة إثر أيِّ انتصار يحرزهُ المسلمون، أو حينما كان الشعراء المسلمون يعبرون عن فرحتهم بأيَّة مدينة تتخلَّص من قيود الإحتلال وتعود إلى حمى الإسلام ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول ابن القيسراني مخاطباً عماد الدين زنكي بعد أن أحرز انتصاراً على الغزاة، عام ٥٣٤هـ (٦٤).

ولا انشئ النَّصرُ عن أنصار دولته
بحيثُ كان وإن كانوا به نصروا
حتَّى تعودَ ثغورُ الشام ضاحكةً
كأنما حلَّ في أكافها عُمرُ

وقول العماد الأصفهاني مخاطباً صلاح الدين (٦٥):

فَسِرْ وافتحِ القُدسَ واسقُفْ به
دماءً متى تُجرَّها ينظف
وأهدِ إلى الأسبتارِ البتارِ
وهذا السَّقُوفَ على الأسقُفِ
وخلَّص من الكُفْرِ تلكَ البلادَ
يُخلِّصك الله في الموقفِ

ثانياً - المقاومة (عناصرها ومظاهرها الدعوة إليها) :

حريٌّ بنا أن نذكر، أنَّ الشعراء المسلمين الذين تحدَّثوا عن الخطر الصليبي، لم يكتفوا بالحديث عن هذا الخطر، وبرسم أبعاده المختلفة على الإنسان، والأرض، والعقيدة. وإنما حاولوا أن يضعوا الحلول الممكنة، لمقاومته ولقطع شأفة الغزاة، والتخلَّص من خطرهم وشرهم. وقد تمثَّل ذلك في عنصرين رئيسين، وهما:

أ- الحَضُّ على وحدة المسلمين :

أدرك الشعراء المسلمون، ومنذ بداية الهجمات الصليبية، أنَّ مشكلة الأمة الإسلامية ومعاناتها الرئيسية تكمن في تجزئتها، وتفرُّق كلمتها، وأنَّ الفُرقة، واختلاف الأهواء، هي التي هدرت طاقاتها، وجعلتها أرضها لقمة سائغة للغزاة والطامعين بها" ذلك لأنَّ صراع أمتهم مع أعدائها ليس صراعاً بين قائد وقائد، أو بين فئة وفئة. وإنَّما هو صراع ديني حضاري، يسعى إلى تغيير ملامح الأرض الإسلامية، وتركيبها الاجتماعي، وعقيدتها وتراثها، ولذا، فقد مضوا يحثون الأمة علي نبذ خلافاتها الداخلية، وتجميع صفوفها تحت راية واحدة، وقيادة واحدة مؤمنة بعقيدتها، وحقوق أمتها المغتصبة؛ وذلك إيماناً منهم بأنَّ الوحدة، هي أساس القوة وأنَّهما معاً السبيل الفعَّال، لمواجهة الغزاة، واستتقاذ البلاد المغتصبة من أيديهم. خاصة وأنَّهم يواجهون عدوًّا يحتاج إلى تسخير جميع طاقات الأمة المادية والبشرية. وهذا واضح في قول ابن القيسراني مخاطباً نور الدين زنكي، حينما عقد صلحاً مع حكام دمشق سنة خمس وأربعين وخمسمئة، مؤكداً أنَّ الوحدة هي السبيل إلى التحرير(٦٦).

وقد علم الأعداء مذبتُ جانحاً	إلى السَّلم ما تنوي بذاك وما تنحو
إذا ما دمشق ملكتك عنانها	تيقن من في إيليا أنه الذُّبح
متى التفُّ نفعُ الجحفلين على الهدى	فلا مهمّة يحوي الضُّلال ولا سفح

وفي قول العماد الأصفهاني أيضاً، مهنئاً نور الدين زنكي بفتح منبج، وانتزاعها من حاكمها المحلي الأمير غازي بن حسان، سنة أربع وستين وخمسمئة، وذلك إذ يقول(٦٧):

بُشِّرَ الممالك فتحُ قلعة منبج	فليهن هذا النصرُ كلَّ مُتوج
أعطيت هذا الفتح مفتاحاً به	في الملك يُفتح كلُّ باب مُرتج
وافى يُبشِّرُ بالفتوح وراءه	فانهض إليها بالجيوش وعرج
أبشر فبيتُ القدس يتلو منبجاً	ولمنبج لسواه كالأنموذج

ومن أجل ذلك، فقد حمل الشعراء حملة عنيفة على المتقاعسين عن الجهاد، الخارجين على وحدة الصف الإسلامي، من الحكام المحليين. وعدوهم سبباً رئيساً في تأخر النصر على الغزاة، وهدر طاقات الأمة الإسلامية. وهذا واضح في قول ابن منير الطرابلسي، معرضاً بمجير الدين حاكم دمشق(٦٨):

وقل لمبير الدين وهو مجير	بزعم له وجه الحقيقة أريد
حملت الصليب باغياً ونبذته	وتفرك مطووس النبات وأدرد
وحاربت حزب الله والله ناصر	ولا بد من يوم به تنهؤد

وأقسم ما ذاق اليهود بإيليا
كبعض الذي جرّعته فسرطته
وفي قول العماد الأصفهاني، مخاطباً أسد الدين، حينما خلّص مصر من قيادتها
المتخاذلة (٦٩):

من شرّ شاور أنقذت العباد فكّم
هو الذي أطمع الإفرنج في بلد ال
وكّم قضيت لحزب الله من أرب
إسلام حتى سَعُوا للقصد والطلب

وحرصاً من الشعراء المسلمين على وحدة الصف الإسلامي، وبناء الجبهة الداخلية،
وإحساساً منهم بأهمية الوحدة في مواجهة الغزاة، فإنهم كانوا يحرضون على استخدام القوة
والسيف في المدن والحكّام الذين يتمردون على الجماعة الإسلامية، ويخرجون على وحدة
الصف الإسلامي، وذلك على نحو ما نرى في قول ابن القيسراني مخاطباً نور الدين زنكي،
محرضاً على استخدام القوة مع دمشق (٧٠):

خطبت فلم يجيبك عنها وليها
على أنها لو لم تجيبك إناية
وخطب العلّا بالسيف ما دونه ستر
لأرهبها من بأسك الخوف والدُّعُر

ومن هنا، كان الشعراء يطربون لأية مدينة إسلامية كانت تتخلّص من قيادتها المحليّة،
وتتضم إلى الصف الإسلامي؛ لتقف مع شقيقاتها في مواجهة الغزاة، والتصديّ لهم. ولذا،
فإنهم كانوا يربطون ما بين انضمام المدن الإسلامية ووحدتها، وبين استعادة الأراضي المغتصبة
من أيدي الغزاة. وهذا واضح في قول علي بن هبة الله الدمشقي، مخاطباً نور الدين زنكي إثر
وحدة مصر والشام، وذلك إذ يقول (٧١):

ولست تُعذّر في ترك الجهاد وقد
وصاحب الموصل الفيحاء ممثّل
وقد بلغت بحمد الله منزلة
وطهر المسجد الأقصى وحوزته
أصبحت تملك من مصر إلى حلب
لما تريد فبادر فجأة النوب
عليه فاقصد العالي من القرب
من النجاسات والإشراك والصلب

ب- الحض علي المواجهة والتحرير:

كان وجود الصليبيين في بلاد الشام عامّة، وبيت المقدس خاصّة، وما ارتكبه بحق المسلمين
وعقيدتهم فيها، من القضايا الكبرى التي شغل بها الشعراء. ولذا فإنهم لم يدخروا فرصة أو
مناسبة للقول إلا وكانوا يستحثون الأمة وقادتها على قطع شأفة الغزاة، واستنقاذ البلاد
المغتصبة من أيديهم، وتخليص أهلها من ظلمهم ومما الحقوه بأرض المسلمين وعقيدتهم،
وتراثهم. وقد تجلّى ذلك في التحذير من خطر الغزاة في المرحلة الأولى من الهجمة. وفي

استشارة الهمم على مواجهة الصليبيين وذلك كما يبدو في قصيدة الأبيوردي، حينما سقطت القدس، حيث يقول (٧٢):

وكيف تنام العين ملء جفونها
واخوانكم بالشام بضحي مقلهم
علي هفوات أيقظت كل نائم؟
وكما يبدو في قول آخر (٧٣):

فقل لذوي البصائر حيث كانوا
أجيبوا الله ويحكم أجيبوا

وقد كانوا معذورين في ذلك، لعدم وجود قيادة واحدة، توحد الجهود والطاقات، وتتصدى للغزاة، وتقف في وجه خطرهم، إذ تميزت المرحلة الأولى بالتفوق الصليبي، وباللبكاء واستنهاض الهمم وحث أصحابها على المواجهة والتصدي.

وأما حينما ظهرت القيادات الإسلامية، وعملت على قلب موازين القوى، فقد وجد الشعراء فيها ضالتهم، والتفوا حولها يشدون من أزرها، ويحضون على مواجهة الغزاة، واستنقاذ البلاد المغتصبة من أيديهم عامة، وبيت المقدس خاصة مثلما عملوا على تعبئة الأمة، وشحن نفوس الناس على القتال مهوتين عليهم الموت والتضحية في سبيل الله ونصرة دينه.

ومن هنا، فقد غدا التحريض على مواجهة الغزاة، وتحرير البلاد من أيديهم لحناً مميزاً، ظلوا يرددونه في أشعارهم التي رفعوها إلى حكام عصرهم، سواء أكان ذلك في تمجيدهم مدحاً وثناءً، أم في تهنئتهم بالانتصارات. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، قول ابن الخياط (٧٤):

إلى كم وقد زخر المشركون
وقد جاش من أرض إفرنجة
جُيوش كمثل جبال تردى
تراخون من يجتري شدة
وتسسون من يجعل الحرب نقداً
أنوماً على مثل هذ الصفاة
وهزلاً وقد أصبح الأمر جدلاً
وكيف تنامون عن أعين
وترتم فأسهرتموهن حقداً؟

وقول طلائع بن رزيك مخاطباً نور الدين (٧٥):

بلغوا قولنا إلى الملك العاد
قل له كم تماطل الدين في الكف
ل فهو المرجو والمأمول
سر إلى القدس واحتسب ذاك في اللـ
ار فاحذر أن يُغصب المَطُولُ
به فبالسير منك يُشفى الغليلُ

وقد كانت فكرة التحريض على التحرير، ومواجهة الغزاة تتعالى حينما تحققت الوحدة ما بين مصر والشام، وأصبحتا صفاً واحداً، وسخرتا طاقاتهما المادية والعسكرية في مواجهة

الغزاة، وذلك على نحو ما نرى في قول العماد مخاطباً صلاح الدين الأيوبي (٧٦):

اغزُ الفرنج فهذا وقتُ غزوهمُ	واحطِمْ جُوعَهُمْ بالذابلِ الحطِمْ
وطهرِ القدسَ من رجسِ الفرنجِ وثبِّ	على البُغاثِ وثوبُ الأجلِ القطِمْ
فمُلكُ مصر ومُلكُ الشامِ قد نُظِمَا	في عَقْدٍ عَزَّ عن الإسلامِ مُنْتَظِمَا

هذا، وما من معركة انتصر فيها المسلمون على الفرنج، إلا وكانت حافزاً قوياً للشعراء، ووسيلة مؤثرة من وسائل التحريض على استخدام القوة مع الغزاة من أجل استعادة البلاد. وذلك على نحو ما نرى في قول ابن القيسراني إثر انتصار المسلمين في إنب (٧٧):

عَمَّتْ فُتُوحُكَ بالعدوى معاقِلُهَا	كأنَّ تسليمَ هذا عندَ ذا جَرَبِ
لم يَبْقَ مِنْهُمْ سوى بيضِ بلا رَمَقِ	كما التوى بعدَ رأسِ الحيةِ الذَنَبُ
فانهضِ إلى المسجدِ الأقصى بذِي لَجَبِ	يُوليكِ أقصى المَنَى فالقدسُ مُرتَقِبِ

وقول العماد الأصفهاني إثر هزيمة الفرنج بحطين (٧٨) :

قُلْ للمليكِ صلاحِ الدينِ أكرمُ مَنْ	يَمْشِي على الأرضِ أو مَنْ يركبُ الفرسَا
مَنْ بَعْدَ فَتَحِكَ بَيْتِ القدسِ ليس سوى	صُورٍ فَإِنْ فَتَحْتَ فاقصِدْ طرابلسَا
أثر على يومِ انطرسوسِ ذا لَجَبِ	وابعثِ إلى ليلِ أنطاكيةِ العَسَسَا
وأخْلُ ساحلَ هذا الشامِ أجمعهُ	من العداةِ وَمَنْ في دينه وَكَسَا

فقد أدرك الشعراء أنه لا سبيل لدفع الغزاة، والتخلص من شرهم وخطرهم إلا بالقوة، إذ هي اللغة التي يفهمونها. وهذا واضح في قول ابن القيسراني مخاطباً عماد الدين زنكي، إثر تحرير الرها من أيدي الغزاة، وذلك إذ يقول (٧٩):

هو السَّيْفُ لا يُغْنِيكَ إِلَّا جِلَادُهُ	وهل طَوَّقَ الأملاكُ إِلَّا نِجَادُهُ
--	---------------------------------------

ومن أجل إبراز هذا الغزو، وإثارة الحماسة في مقاومته، لجأ الشعراء إلى وسيلتين، وهما: إبراز دور البطل المسلم والتأكيد عليه، وتضخيم صورة الجيش الصليبي.

١- إبراز دور البطل المسلم والتأكيد عليه :

غدا الحديث عن هذا الدور محوراً رئيساً في قصائد بعض الشعراء، فدعوا من خلاله إلى بناء الجبهة الداخلية، وإبراز ما يحققه ذلك من أمن وطمأنينة وعدالة بين الرعية، وقد دعا إلى ذلك أن المسلمين والشعراء في مرحلة الهزيمة، طغى عليهم شعور بالمرارة وخيبة الأمل، إذ لم يجدوا قائداً مسلماً يوحد الجهود والطاقات، ويقف في وجه الغزاة الطامعين، ويخلص الأمة من خطرهم، ومما لحق بها من ظلم واستلاب وضياع ولذا فإن المسلمين والشعراء كانوا

يلتفون حول أية قيادة إسلامية، تحاول مواجهة الغزاة والتصدّي لهم، بل إنَّ إحساس الشعراء بفداحة الخطر، وأهمية القيادة في المواجهة، جعلهم يحضون المسلمين على تأييد ودعم أية قيادة تُبدي استعداداً للمواجهة والتصدّي. وذلك على نحو ما نرى في قول ابن الخياط الذي يحض فيه الناس على الالتفاف حول قيادة الأمير مجد الدين، غضب الدولة الذي عرف هو وأباؤه بالقوّة، وذلك إذ يقول (٨٠):

فلن تَعْدُمُوا في انتشارِ الأمورِ أخاً تُدْرَا حازمَ الرّأي جَلداً
كمثل زعيم الجيوش المليّ بعزم يبيت له الحزم رداً
فَدُونَكُمْ ظَفِيراً عاجلاً لكم جاعلاً سائر الأرض مهذا
فقد أينعت أروُسُ المشركين فلا تَغْلُوها قطافاً وحَصداً
فلا بُدَّ من حُدِّهِمْ أن يُفْلَ ولا بُدَّ من رُكْنِهِمْ أن يُهْدا

وفي قول ظافر الحداد الذي يبصّر فيه الناس بواقعهم وحاجتهم إلى مَنْ يقودهم إلى النصر على الغزاة، وذلك إذ يقول في مدح الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي قائد الجيش المصري (٨١):

سارت له سيرة أدنى مناقبها قد عطر الأرض والأفواه والكتبا
تضمّنت غزوات كلّما ضحك الإسلام عنهم ناح الكفر وانتحبا
ضمّر خيولك للنصر التي وعدت وثقف السمر حزمًا وارهف القضا
أبشّر فعادات وفد النصر قادمة كالهيم من بعد خمس وافت القربا
واسف دماً في طلى الأعداء مُنتظراً فلو أشارت له أسيافك انسكبا

وهكذا تظل الأمة والشعراء يلتفون لظهور القيادة، إلى أن ظهرت القيادات الإسلامية ممثلة في عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين، ثم صلاح الدين الأيوبي، فعملت على بناء الجبهة الداخلية، وتصدت للغزاة، ملحقه بهم هزيمة ساحقة، وخلصت البلاد من أيديهم.

ولأهمية الدور الذي قام به هؤلاء القادة، ولأنَّ آمال الأمة وتطلّعاتها تجسّدت فيهم، فقد كانوا محوراً رئيساً في قصائد الشعراء وأشعارهم، وخاصةً أنَّهُم عملوا على قلب موازين القوى، ورجّحوا كفة الغزاة، فالتف الشعراء حولهم، وأسبغوا عليهم الكثير من الصفات العريية والإسلامية المثلى.

ونظراً لكثرة الدّراسات التي تحدّثت عن البطل المسلم (٨٢)، فإنني سأقصر حديثي في هذه الظاهرة على دور البطل المسلم من الناحية الاجتماعية، إذ إنَّ حالة انعدام الطمأنينة والأمن التي عاشها المسلمون في الشام في المرحلة الأولى، وما عانوه من ظلم واستبداد، وضياع

للحقوق والحرّيات. جعل الشعراء يلحّون على تأكيد هذه الصفات للقيادات الإسلامية التي تصدرت للغزاة ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول ابن منير الطرابلسي في مدح نورالدين (٨٣):

بِكَ يَا شَمْسَ الْمَعَالِي رُدَّتِ الرُّؤُ
أَقْسَمُ الْجَدَّ بَأَنْ تَبْقَى لَكِي
وَتُقَيِّضَ الْعَدْلَ فِي أَقْطَارِهَا
وفي قول ابن القيسراني مخاطباً نورالدين، متغنياً بما حققه للرعية والدين (٨٤):
تَدَارِكُ مَلَّةَ الْعَرَبِيِّ ذَبّاً
وَحُلَّ ذُرَى الْعَوَاصِمِ وَهِيَ نُهْبَى
رَأَى حَطَّ الْمَكُوسِ عَنِ الرُّعَايَا
وَمَدَّ لَهَا رَوَاقَ الْعَدْلِ شِرْعاً
وَحُ فِي الْمَيِّتِينَ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ
تَمْلِكُ الْأَرْضَ يَمِيناً لَا يَمِينُ
مُنْسِياً مَوْلَمَ عَسَفِ الْجَائِرِينَ
إِلَى أَنْ عَدَّهُ مِنْهُ مَعْدُ
فَأَجَلَى الشَّرْكَ حَتَّى لَيْسَ ضِدُّ
فَأَهْدِرَ قَبْلَ مَا أَنْشَأَ بَعْدُ
وَقَدْ طُوِيَ الرُّوَاقُ وَمَنْ يَمُدُّ

ويتحدث الشعراء عن حرص القائد المسلم على راحة الرعية وطمأنينتها، وذلك على نحو ما نرى في قول ابن الساعاتي مخاطباً صلاح الدين (٨٥):

جَلَّتْ عَزَمَاتُكَ الْفَتْحَ الْمُبِينَا
وقول ابن سناء الملك في صلاح الدين أيضاً (٨٦):

أَنَامَ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي كَهْفِ أَمْنَةٍ
وَعَوَّضَهُمْ مِنْ بَعْدِ سَخَطِهِمْ رَضَى
وَأَوْسَعَهُمْ عَدلاً وَأَسْكَنَهُمْ عَدْنَا
وَبَدَّلَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَا
وقول جعفر بن شمس الخلافة في صلاح الدين (٨٧):

جَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرُ الْإِلَهِ
تَدَارَكَهُ بَعْدَ ابْتِذَالٍ فَقَدْ غَدَا
فَمَا مَلَّ عَنْهُ مِنْ دِفَاعٍ وَمِنْ ذَبٍّ
وَكَانَ شَدِيدَ الْخَوْفِ فِي أَمْنِ الْحُجُبِ

وحرصاً من الشعراء على تأكيد ما قام به البطل، وحتى يعملوا على إبراز دوره وما قام به كانوا يقابلون بين ما قام به من أجل الإسلام والأرض، وبين غيره من الحكام المتخاذلين. ومن الأمثلة على ذلك قول ابن القيسراني في نورالدين زنكي (٨٨):

يَا سَاهِدَ الطَّرْفِ وَالْأَجْفَانِ هَاجِعَةً
وَقَوْلَ مَهْدَبِ الدِّينِ بْنِ أَسْعَدِ الْمُوصَلِيِّ (٨٩):

مُلُوكٌ جُلَّهْمُ مُغَرَى بِظُلْمٍ
وَإِذَا مَا جَالَتْ الْأَبْطَالُ وَلَّى
وَمَشْغُولٌ بِلَهْوٍ أَوْ مُزَاحٍ
وَيَقْدُمُ نَحْوَ حَائِلَةِ الْوَشَاحِ

وما خضع الفرنجُ لديكَ حتّى
وقول ابن سناء الملك في صلاح الدين الأيوبي (٩٠):
رأوا ما لا يُطاقُ مِنَ الكِفاحِ

أرضُ الجزيرة لم تظفر ممالكها
ممالكٌ لم يدبّرها مُدبّرها
بمالك فطِن أو سائس دَرَبِ
إلا برأي خَصِيٍّ أو بعقل صَبِي
حتّى أتاها صلاحُ الدِّينِ فانصلحتْ
مِنَ الفسادِ كما صحتْ مِنَ الوُصبِ

وذلك لأن العدل هو أساس الملك، وأساس الجبهة الداخلية المتين، وإلا فأي كرب أعظم مما حلّ بالمسلمين وأرضهم على أيدي الغزاة. ولذا، فإنّ الشعراء المسلمين كانوا يصابون بالهلع والخوف، حينما كانت الساحة الإسلامية تخلو من القيادة، ويتوجسون من عودة ما عاناه المسلمون في الشام في المرحلة الأولى من الصراع، وخاصّة بعد أن ذاق الناس حلاوة الظفر، ونعموا بالأمان والإطمئنان ومن ذلك قول ابن القلانسي في عماد الدين زكي، معبراً عن خوفه من غياب الأمن والطمأنينة اللتين حققهما للمسلمين (٩١):

وأمن من في كلِّ قطر بهيبة
وظالمٌ عدل حين يُذكر عدله
تُراعُ بها أعرابُه وأعاجمُه
فقد زال عنهم ظلمُه وخصائصُه
فمَن ذا الذي يأتي بهيبة مثله
وقول العماد في رثاء نور الدين زكي (٩٢):

ولمّا غاب نورُ الدِّينِ ————— من عنا أظلمَ الحفلُ
وزالَ الخِصبُ والخيرُ وزادَ الشَّرُّ والمَحَلُّ

ولذا، فإنّه يتوجّه إلى الناس والدِّين أن يندبوا نور الدِّين الذي حماهم من الغزاة ودفع عنهم الخطر المترصص بهم، وذلك إذ يقول (٩٣):

قليندب الإسلامُ حامي أهله
والشامُ حافظُ مُلكه وثغوره

وقد رأى في وفاته خطراً على الإسلام والمساجد والمدارس.

كما نراه يقول في صلاح الدِّين معبراً عن تخوّفه من فقدّه، إذ يراه مناط الاستقرار في البلاد (٩٤):

جبلٌ تضعُضُ من تضعُضِ رُكنه
ما كنتُ أعلمُ أنّ طوداً شامخاً
أركانُنا وتهدُّنا هدأتُه
يهوي ولا تهوي بنا مهواتُه

ب- تضخيم صورة الجيش الصليبي :

عمد الشعراء المسلمون إلى تضخيم الجيش الصليبي الذي سامهم الخسف، وسلب ديارهم

وسفك دمائهم، وكان ذلك لغايات مقصودة، يسعون من ورائها إلى تجسيد خطرهم في نفوس الناس، ولكي يستحثوا الأمة على مواجهته والتصدي له، ويرفعوا من معنوياتها، وخاصة بعد أن احرزوا عليهم الانتصارات، وربما أرادوا أن يؤكدوا أنهم لم ينتصروا على جيش قليل العدد والعدة. وإنما انتصروا على جيش قوي مدرب يمتلك من وسائل القوة ما لا يمتلكه المسلمون. وإزاء هذا، فقد أكدوا بصورة واضحة على ضخامة جيوشهم وكثرتها، وكأنهم بذلك يستذكرون بطولات أمرائهم الذين كانوا ينتصرون عليهم. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول ابن الخياط (٩٥):

إلى كمّ وقد زَخَرَ المشركون بسيل يُهالُ له السَّيْلُ مَدًّا
وقد جاشَ من أرضِ إفرنجة جُيُوشٌ كمثلِ جبالٍ تَرْدَى

وقول فتيان الشاغوري (٦٠٥هـ) في صلاح الدين (٩٦):

جاشتْ جُيُوشُ الشُّركِ يومَ لقيتْهم يتذامرون على مُتُونِ الضُّمَرِ
وكانَّهم بحرٌ تدافَعَ موجُه بطي وزَعَفٍ مُحْكَمٍ وَسُنُورِ

وقول ابن سناء الملك في جيشهم بحطين (٩٧):

قَصَدَتْ نَحْوَكِ الأَعادي فَرَدًّا الـ له ما أَمْلُوه عنكَ وَعِنا
حملوا كالجبالِ عِظْماً ولكن جَعَلَتْهَا حَمَلَاتُ خَيْلِكَ عِنا
جمعوا كيدَهُمْ وجاءوكَ أركا نأ فَمَنْ قَدَّ فارساً هَدَّ رُكنا
لم تُلاقِ الجيوشَ مِنْهُمْ ولكدَّ لكَ لاقيتَهُمْ بلاداً ومُدنا

وقول ابن عَنين في دمياط سنة ٦١٩هـ (٩٨):

غداةَ لقينا دُونَ دمياط جحفلا مِنَ الرومِ لا يُحصى يقيناً ولا طناً
قد اتفقوا رأياً وعِزْماً وهمةً وديناً وإن كانوا قد اختلفوا عِنا
تداعوا بأنصارِ الصُّليبِ فأقبلتْ جموعٌ كأنما الموجُ كان لهم سُنفاً

ذلك لأن الغزاة كانوا يتعمدون إظهار قوتهم، إذ أتوا بعدد ضخيم حتى يعملوا على إضعاف روح المسلمين القتالية؛ اعتقاداً منهم أن النصر على المسلمين يكون بكثرة العدد، ولكن الشعراء المسلمين، حاولوا أن يرفعوا من نفوس المسلمين التهيب من لقاءهم، واستحثوهم على المواجهة والتصدي، وخاصة بعد أن أصبحت طرائقهم في القتال مكشوفة، إذ كانوا يتجنبون المواجهة مع المسلمين على الرغم من كثرتهم وما يمتلكونه من عدة.

خاتمة

أدرك الشعراء الذين تحدثوا عن الخطر الصليبي عظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم وفداحة الخطر الذي يترتب بهم ويعقيدتهم، كما أدركوا أهمية الكلمة ودورها في شحن النفوس وحث أصحابها على المواجهة والتصدي، وإزاء هذا، فقد إهتموا بألفاظهم وتراكيبهم اللغوية التي عبروا فيها عما يعتل في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس.

وقد تجلّى ذلك في حرصهم على إقامة التآلف والإنسجام بين ألفاظهم ومعانيها المستخدمة لها في التعبير عما يريدونه، لكي تصل الى المتلقي بوضوح، وتعبّر عما في نفوسهم ونفوس أبناء أمتهم، وخاصة بعد أن حاولوا شحنها بعواطفهم القوية وأحاسيسهم الصادقة، فجاءت ألفاظهم وثيقة الصلة بالموضوعات التي عبروا عنها.

وعلى الرغم من أن الشعراء الذين تحدثوا عن الخطر الصليبي وطرق مقاومته، عاشوا في عصر البديع والصنعة اللفظية، فإن ألفاظهم وتعبيراتهم اتسمت بالوضوح والإبانة، كما اتسمت بالسهولة والبعد عن الغرابة والتعقيد، إذ لم يفرطوا في استخدام المحسنات اللفظية والبديعية التي كانت مقياساً من مقاييس الجودة والإبداع في عصرهم. وهذا أمر أدركه الدكتور عبد الجليل عبدالمهدي حيث يقول: "... ولا نجد في قدسيّاتهم تكلفاً، أو تصنعاً، أو طغيان لفظ على معنى" (٩٩). ولكنهم مع ذلك حافظوا على جزالة ألفاظهم وقوة جرسها، وصياغتها الشعرية، ولا سيّما حينما كانوا يصوّرون البطل المسلم وجيشه، أو يتحدثون عن أعمال الغزاة وجرائمهم التي ارتكبوها بحق السكان المسلمين وعقيدتهم وأرضهم.

ويمكننا أن نردّ ميلهم الواضح إلى السهولة والإبانة إلى أمور كثيرة، ومنها: أنهم كانوا متأثرين بالحدث متفاعلين معه بكلّ ما لديهم من مشاعر وأحاسيس، إذ عبروا عما يعتل في نفوسهم وما يحسّون به تعبيراً ذاتياً وجماعياً، ومنها أنهم أرادوا لأشعارهم أن تكون بمثابة منشورات إعلامية موجّهة إلى الأمة كافة، على اختلاف مستوياتها الإجتماعية والثقافية والسياسية. لكي تتبّه الى هذا الخطر، وتتبع أفضل الطرق الممكنة لمقاومته والتخلص منه.

ومنها كذلك استخدام الألفاظ والمصطلحات الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. (كالإسلام) و(الشرك)، (والله أكبر)، (والهدى)، (والمصحف)، (المحارب)، وغيرها.

ومنها؛ ميلهم إلى استخدام الأسلوب الخطابي القائم على الوعظ والإرشاد، وخاصة حينما يستحثون الأمة على المواجهة والتحرير، ويرسمون لها سبب الخلاص، أو حينما كانوا يمدحون القائد المسلم وجيشه. ولذا، فقد كثرت الأساليب الإنشائية في أشعارهم، كالنداء، والإستفهام، والأمر، وغيره (١٠٠).

ولعل من أبرز خصائص الشعر الذي واكب الحروب الصليبية عامة. وتحدث عن الخطر الصليبي خاصة أنه ابتعد عن المقدمات الغزلية ودخل في موضوعه مباشرة، إذ كان اصحابه مندغمين في الحدث منفعلين به، كما كانوا ملتزمين بقضايا أمتهم، ولا وقت لديهم في هذه الأحوال للتغزل بالنساء والتلهي بهنّ، بينما البلاد تغتصب، والدماء تستباح، والأعراض تنتهك، أو أنه الحرج من ذلك في مثل هذه الحال.

وأما صورهم الشعرية، فقد اتكأوا في رسمها على صور البيان المعروفة، كالتشبيه والإستعارة، والكناية، والمجاز، ولكنهم مع ذلك، استطاعوا أن يركبوا منها صوراً كلية متضامة، وخاصة حينما كانوا يتحدثون عن جيوش الغزاة^(١٠١)، أو عن المعارك والدماء حيث اعتمدوا في رسم صورهم على حواسهم المرئية، واللونية والحركية، فجاءت هذه الصور مليئة بالحركة والحيوية والألوان، إذ كانت مستمدة من أجواء المعارك والحروب، ومن واقع أعمال الفرنج، وقيادات المسلمين وبطولاتهم.

وأما موسيقاهم الشعرية، فقد كانوا موفقين فيها أيضاً، إذ حرصوا في أشعارهم على تكرار حرف معين في كلمات البيت الواحد، ليحدثوا فيها تناغماً خاصاً، ورنيناً صوتياً ممزاً، ويكسبونها رونقاً خاصاً. ومن أجل ذلك، فقد حفلت أشعارهم^(١٠٢) بالجناس الحرفي الذي أربى على غيره من صور الجناس الأخرى، كما كانوا موفقين في تخيير البحور الشعرية المناسبة لأشعارهم ومعانيهم التي يتحدثون عنها، إذ اختاروا لها البحور الطويلة التامة، ذات المقاطع الكثيرة والسير البطيء. لكي تستوعب همومهم، وتعبر عن معاناتهم وآلامهم.

وفي الختام أقول: إن الشعر الذي صور الخطر الصليبي قد أدى وظيفته من الناحيتين الفنية والسياسية، إذ شجن النفوس، وصوّر الواقع بصدق. ومن هنا فقد جاء إبراز هذا الخطر وأبعاده مطابقاً لما ذكره المؤرخون العرب والأجانب عن الخطر الصليبي وأبعاده المختلفة.

الهوامش والتعليقات

- (١) محمد صبح، القدس ومعاركنا الكبرى (مصر، ١٩٧٠م)، ط١، ج١/٣٦٦، وانظر أيضاً: محمد الهرفي شعر الجهاد في الحروب الصليبية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م، ط٣، ص١٩.
- (٢) انظر تفصيل ذلك في ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت٦٢٦هـ): الكامل في التاريخ (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٨٠م، حوادث سنة ٤٨٥هـ، ورنسيما (ستيفن): تاريخ الحروب الصليبية (بيروت: دار الثقافة، ط١، ١٩٦٧م) ج١/١٢٠، ٣٢٦.
- (٣) انظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، القاهرة، الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٥م) ١/٢٦، ٢٨-٤٢، ومحمد الهرفي، شعر الجهاد، ص١٨-٢٠، ٣٥-٣٨، وصلاح الدين بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين (بيروت: دار الرسالة، ط١، ١٣٩٤هـ) ص٥٩.
- (٤) ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف بن قراوغلي، ت٦٥٤هـ): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٩٥١م ق١، ج١/٤٧٣.
- (٥) ابن القلانسي (حمزة بن أسد بن علي، ت٥٥٥هـ): ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار (دمشق: دار حسان، ط١، ١٩٨٣م)، ص٢٢٠، وانظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٤٧/٥.
- (٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٢.
- (٧) ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ١٨٧/٨، وانظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٤٦/٥.
- (٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١٨٧/٨، وانظر القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٤٨/٥-١٤٩.
- (٩) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٣، وانظر الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٩٢هـ، والنجوم الزاهرة، ١٥٠/٥.
- (١٠) انظر: النجوم الزاهرة، ١٦٧/٥، والحركة الصليبية، ٢٩٣/١، ومحمود إبراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني (عمان: دار البشير، ط٢ ١٩٨٨م)، ص٢٧.
- (١١) أنظر: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣١، والكامل في التاريخ، ٢٠٤/٨، ٢٢١، والنجوم الزاهرة، ١٥٠/٥.
- (١٢) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ٥٠/١.

- (١٣) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ٤٣٥/١.
- (١٤) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ٤٣٦/١. وللمزيد من الأمثلة أنظر أيضاً، ص ٤٣٧، ٤٤١، ٤٩٦.
- (١٥) ول ديورانت: قصّة الحضارة، ترجمة محمد بدران جامعة الدول العربية، ١٩٥٧م ج٤ م ٢٤-٢٥، وانظر، غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة: دار إحياء الكتب المصريّة، ط ٣، ١٩٤٥م) ص ٣٢٦.
- (١٦) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٣٢٦، وللمزيد من الأمثلة انظر ص: ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٧.
- (١٧) غوستاف لوبرن، حضارة العرب، ص ٣٢٤.
- (١٨) انظر، ناصر خسرو علوي، سفر نامه، ترجمة يحي الخشاب (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥م)، ص ١٣.
- (١٩) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبيّة، ٤٣٦/١. وللمزيد من الأمثلة على ذلك انظر: فايد حمّاد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص ١١٤، ومحمود ابراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص ١٧، ١٨، ٢٧، وغيرها.
- (٢٠) الأبيوردي (محمّد بن أحمد بن اسحق، ت ٥٠٧هـ): ديوانه، تحقيق عمر الأسعد (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٧م) ج ٢/١٥٦-١٥٧.
- (٢١) ابن الخياط (أحمد بن عليّ التغلبي، ت ٥١٧هـ): ديوانه، تحقيق خليل مردم بك (دمشق: المطبعة الهاشميّة) ط ١، ١٩٥٨م، ص ١٨٤.
- (٢٢) ابن رزيك: (الملك الصالح طلائع بن رزيك، ت ٥٥٦هـ): ديوانه، تحقيق محمّد هادي الأميني، المكتبة الأهلية، ط ١، ١٩٦٤، ص ٦٥.
- (٢٣) ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصريّة - المؤسسة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٥١/١٥.
- (٢٤) ابن الخياط، ديوانه، ص ١٨٤-١٨٥.
- (٢٥) طلائع بن رزيك، ديوانه، ص ٦٣.
- (٢٦) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبيّة (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ترجمة سهيل زكّار، (بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٩٩٠م، ج ١/٤٣٧).
- (٢٧) الأبيوردي، ديوانه، ص ١٥٦-١٥٧.
- (٢٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥/١٥١.

- (٢٩) أبو شامة المقدسي (عبدالرحمن بن إسماعيل، ت٦٦٥هـ): كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمي (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط١ ١٩٥٦م)، ج١، ق٢/٤٤٩.
- (٣٠) أبو شامة، الروضتين، ج١ ق٢/٤٦٠.
- (٣١) أبو شامة، الروضتين (بيروت: دار الجيل)، ٤/٢.
- (٣٢) ابن عنين (أبو المحاسن محمود بن نصر، ت٦٣٠هـ): ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك (بيروت: دار صادر، ط٢، ص٣٠).
- (٣٣) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ٧٥٢/٢، وانظر أيضاً: غوستاف لويون، حضارة الإسلام، ج٤ م٣٧/٤، ومحمود ابراهيم، حطين (عمّان: دار البشير، ط١، ١٩٨٧م) ص٨٠-٨١.
- (٣٤) فايد حمّاد، جهاد المسلمين، ص٩٧.
- (٣٥) ابن القلانسي، دبل تاريخ دمشق، ص٢٢.
- (٣٦) أنظر: العماد الأصفهاني، ت٥٩٧هـ، سنا البرق الشامي - اختصار الفتح بن عليّ البنداري، تحقيق رمضان ششن (بيروت: دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧١م) ق١/٣١٤-٣١٥، والفيح القسّي في الفتح القدسي، تحقيق محمد صبح (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٥م) ص١٣٧، ١٤١.
- (٣٧) انظر: عبدالجليل عبدالمهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، ص٨٦-٩٦.
- (٣٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٥١/٥ والخلق: نوعٌ من الطيب.
- (٣٩) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ١/١: ٨٩.
- (٤٠) طلائع بن رزيك، ديوانه، ص٦٣.
- (٤١) ابن السّاعاتي (عليّ بن رستم الخرساني، ت٦٠٤هـ): ديوانه، تحقيق أنيس المقدسي (بيروت: المطبعة الأميرية، ط١، ١٩٣٨م) ١/١٤٤.
- (٤٢) المقرئزي (تقيّ الدين أحمد بن عليّ ت٨٤٥هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، (القاهرة، ١٩٣١ تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة. ١/١٩٩.
- (٤٣) ابن النبيه (كمال الدين عليّ بن محمد، ت ٦١٩ هـ) ديوانه، تحقيق عبدالله فكري، (القاهرة: مطبعة عبدالغني فكري، ط١، ١٢٨هـ)، ص٥٦.
- (٤٤) انظر حول ذلك أبو شامة المقدسي، الروضتين (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤) ٢/٣٥، ٣٧، وابن جبير (محمد بن أحمد، ت٦١٤هـ): رحلة ابن جبير (بيروت: دار الكتاب

- (٤٥) أبو شامة المقدسي، الروضتين، بيروت ٣٦/٢.
- (٤٦) ابن السّاعاتي، ديوانه، ١٧٨/١.
- (٤٧) فتّيان الشّاغوري (فتّيان بن عليّ الأسدي، ت٦١٥هـ): ديوانه، تحقيق أحمد الجندي (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط٢، ٥٦٨).
- (٤٨) ابن عنين، ديوانه، ص ٦٢، وانظر أمثلة أخرى في ص: ١، ١٥، وأحمد بدوي، الحياة الأدبيّة في عصر الحروب الصليبيّة (القاهرة: دار النهضة، مصر، ط٢)، ص ٢٠٩، ٢٣٥، ٤١٥، ٤١٩، وغيرها.
- (٤٩) العماد الأصفهاني، ديوانه، تحقيق ناظم رشيد (الموصل: جامعة الموصل، ط١، ١٩٨٣م) ص ٢٣٢، وانظر أمثلة أخرى، ص ٢٣٥-٢٣٦، ٢٣٨-٢٣٩، والروضتين، بيروت، ١٠٦/٢، ١٠٧، ١٨٦.
- (٥٠) أبو شامة الروضتين، بيروت، ١١٨/٢، وانظر أمثلة أخرى في ص ١١٩، ١٤٧-١٤٨، ١٣٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٢٤ وغيرها.
- (٥١) أبو شامة، الروضتين تحقيق محمد حلمي، ق ١ ج ٨٩/٢.
- (٥٢) أبو شامة، الروضتين، تحقيق محمد حلمي، ق ٢ ج ٢٠٦/٢.
- (٥٣) أبو شامة، الروضتين، بيروت، ١٠٧/٢.
- (٥٤) ابن عنين، ديوانه، ص ١١، وللمزيد من الأمثلة على ذلك، انظر الروضتين، بيروت ١٠٢/٢-١٠٧، ١١٦-١١٩، ١٣٢، ٢٠٤، ٢٢٤، وديوان العماد، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٨، ٢٨١-٢٨٢، وغيرها.
- (٥٥) انظر: ص (٧، ٨) من هذه الدراسة.
- (٥٦) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٩١هـ.
- (٥٧) انظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبيّة، ٢٦٤/١، ومحمود ابراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص ٢٣.
- (٥٨) انظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبيّة، ٢٦١/١، ومحمود ابراهيم صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص ٣٢.
- (٥٩) انظر: ابو شامة المقدسي، الروضتين، تحقيق محمد حلمي، ١/١: ٧٦-٧٧.
- (٦٠) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ١/١: ٧٦-٧٧.
- (٦١) أنظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبيّة، ١/١.

- (٦٢) أبو شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤) ص ١٠٠.
- (٦٣) البهاء زهير، ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ٩، ص ١٠٠).
- (٦٤) ابن القيسراني (محمد بن نصر بن صغير، ت ٥٤٨هـ): شعره، تحقيق عادل جابر (الزرقاء الوكالة العربية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١م، ص ٢٠٨).
- (٦٥) العماد الأصفهاني، ديوانه، ص ٣٠٤، وانظر أمثلة أخرى في ص ١٦٢، ١٦١، ١٧٨، ١٩٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٦، ومحمود إبراهيم، صدى الغزو الصليبي، ١٤٤-١٤٦، وعبد الجيل عبد المهدي، بيت المقدس، ٢٩-٤٧، وأحمد بدوي الحياة الأدبية، ص ٤١٧-٤٢٣.
- (٦٦) ابن القيسراني، شعره، ص ١٣٣-١٣٤.
- (٦٧) العماد الأصفهاني، ديوانه، ص ١٢٠، وانظر أمثلة أخرى حول هذه القضية في عبد الجليل عبد المهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، ص ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، ١٢٢. وحلمي الكيلاني (موقف العماد الأصفهاني من حروب المسلمين والفرنج من خلال شعره)، مؤتة للبحوث والدراسات، م ٢٤٦، ١٩٩١م، ص ٢٤٣-٢٤٥.
- (٦٨) ابن منير الطرابلسي (أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح، ت ٥٤٨هـ)، ديوانه، جمع وتقديم عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٨٦م)، ص ٢٣٠-٢٣١، وانظر الروضتين ج ١ ق ١٩٧/١٩٨.
- (٦٩) العماد الأصفهاني، ديوانه، ص ٨٠-٨١، وانظر أمثلة أخرى، في ١١-١١٢.
- (٧٠) ابن القيسراني، شعره، ص ١٩٤-١٩٥.
- (٧١) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج ١ ق ٢/٤٠٥، وانظر أمثلة أخرى في ديوان العماد، ص ٣٧٦-٣٧٧، وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، ص ٧٩، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ١٠١، ١٠٣، ٢٢٢ وغيرها.
- (٧٢) الأبيوردي، ديوانه، ١٥٧/٢.
- (٧٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٥٢/٥.
- (٧٤) ابن الخياط، ديوانه، ص ١٨٤-١٨٥، وانظر أمثلة أخرى في ديوانه طلائع بن رزيك. ص ٦١.
- (٧٥) طلائع بن رزيك، ديوانه، ص ١٢٨.
- (٧٦) العماد الأصفهاني، ديوانه، ص ٣٨٢، وللمزيد من الأمثلة، أنظر، ص ١٠٢، ١٦١، ١٩٤.

٣٠٤، ٣٧٨، وما قاله الجلياني في الروضتين (بيروت) ١٠٢/٢. وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبيّة، ص ١٠٤، ١٠٨، ١١٤، ١٢١، ١٢٧، ١٥٧، وغيرها، وابن قلاقس، ت(٥٦٢هـ)، ديوانه، تحقيق سهام الفريح (الكويت: مكتبة دار العروبة، ط١، ١٩٧٩م)، ص ١٩، ٢٠، ٢٥.

(٧٧) ابن القيسراني، شعره، ص ٧٤.

(٧٨) العماد الأصفهاني، ديوانه، ص ٢٨٨-٢٢٩.

(٧٩) ابن القيسراني، شعره، ص ١٤٨، وللمزيد من الأمثلة على هذه القضية، انظر صدى الغزو الصليبي في شعر ابن لقيسراني ص ١٤٦-١٥٠.

(٨٠) ابن الخياط، ديوانه، ص ١٨٥ والتدرا: المانع الحافظ، القوي، والرّد: العماد.

(٨١) ظافر الحداد، ديوانه، تحقيق حسين نصار، القاهرة: مكتبة مصر، ط١، ١٩٦٩، ص ٣٦، وانظر أمثلة أخرى في خريدة العصر (قسم شعراء مصر) ج ١ ص ٢٦٥.

(٨٢) ثمة دراسات كثيرة تحدّثت عن البطل المسلم، ومنها: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص ١٥٥-١٦٠، وحطين، ص ٣٨-٥٠، وبيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، ص ٩٩-١٣١، ومصطفى عليان (صورة البطل المسلم) في شعر الحروب الصليبية)، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، المجلد الحادي عشر، العدد الرابع، ص ١٦٠-١٧٧، وعبدالقادر أبو شريفة (صورة البطل المسلم في شعر الحروب الصليبية) الجامعة الأهلية، عمّان، العدد الأول، ص ٤٥-٦٩، وحلمي الكيلاني (موقف العماد) مؤتة للبحوث، م ٦٤، ص ٢٤٥-٢٥٢، ولذا فإنني لن أكرر ما ورد في تلك الدراسات.

(٨٣) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج ١ ق ١٠٣/١.

(٨٤) ابن القيسراني، شعره، ص ١٦٥.

(٨٥) ابن الساعاتي، ديوانه، ص ٤٠٦.

(٨٦) ابن سناء الملك (هبة الله بن جعفر بن محمد، ت ٦٥٨٣هـ)، ديوانه، تحقيق محمد ابراهيم نصر (القاهرة: دار الكاتب العربي، ط١، ١٩٦٩م ص ٣٢٢، وللمزيد من الأمثلة، انظر ما قاله الشاعر أبو يعقوب، الشعر في بيت المقدس، ١٩٠، وما قاله ابن جبير، ص ١٩٤-١٩٥. وغيرها.

(٨٧) أبو شامة المقدسي الروضتين، ٢/٢٢٤، والشعر في بيت المقدس، ٢٠٦.

(٨٨) ابن القيسراني، شعره، ص ٧٠.

(٨٩) أبو شامة، الروضتين، ٢/١٧.

- (٩٠) ابن سناء الملك، ديوانه، ص ١٤ .
- (٩١) ابن القلانسي، تاريخه، ص ٤٤٧ .
- (٩٢) العماد الأصفهاني، ديوانه، ص ٣٣٤ .
- (٩٣) العماد الأصفهاني، ديوانه ص ٢١٢ .
- (٩٤) العماد الأصفهاني، ديونه، ص ٨٦، وما بعدها .
- (٩٥) ابن الخياط، ديوانه، ص ١٨٤ .
- (٩٦) فتیان الشاغوري، ديوانه، ص ١٤٣-١٤٤ . وانظر أيضاً ص ٣١٩ .
- (٩٧) ابن سناء، ديوانه، ص ٣٤٢، والشعر في بيت المقدس، ص ١٤٤ .
- (٩٨) ابن عنين، ديوانه، ص ٣٠، وللمزيد من الأمثلة على ذلك، انظر ما قاله الرشيد النابلسي في كتاب الشعر في بيت المقدس، ص ١٧٣، وما قاله أبو الحكم الأندلسي، ص ٨٤ .
- (٩٩) بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، ص ٢٩٨ .
- (١٠٠) انظر أمثلة من ذلك في الحواشي، رقم ٢٤، ٢٥، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٨، وغiderها .
- (١٠١) انظر أمثلة من ذلك في الحواشي، رقم: ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، وغيرها .
- (١٩٢) انظر أمثلة من ذلك في الحواشي، رقم: ٢٤، ٢٥، ٤٨، ٤٩، ٦٩، وغيرها .

المصادر والمراجع

- ١- بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية: د. عبدالجليل عبدالمهدي، عمان: دار البشير. ط١، ١٩٨٩م.
- ٢- بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية: د. عبدالجليل عبدالمهدي، عمان البشير. ط١، ١٩٨٩م.
- ٣- تاريخ الحروب الصليبية: رنسيما (ستيفن)، بيروت: دار الثقافة ط١، ١٩٦٧.
- ٤- تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، وليم الصوري، ترجمة د. سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٠م.
- ٥- تراجم رجل القرنين السادس والسابع (ذيل الروضتين): أبو شامة المقدسي، بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤م.
- ٦- جهاد المسلمين في الحروب لصليبية: د. فايد حماد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م.
- ٧- الحركة الصليبية: د. سعيد عاشور، القاهرة: الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٥م.
- ٨- حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة: دار احيااء الكتب العربية، ط٣، ١٩٤٥م.
- ٩- حطين: د. محمود ابراهيم، عمان: دار البشير، ط١، ١٩٨٧م.
- ١٠- الحياة الأدبية في عصر الحروب: مصر والشام، د. أحمد بدوي، القاهرة: دار نهضة مصر، ط٢.
- ١١- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر): العماد الأصفهاني، تحقيق أحمد أمين ورفيقه، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٥١م.
- ١٢- ديوان الأبيوردي، محمد بن أحمد بن اسحاق، تحقيق د. عمر الأسعد، دمشق: مطبعة زيد ابن ثابت، ط١، ١٩٧٥م.
- ١٣- ديوان البهاء زهير، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٢م.
- ١٤- ديوان ابن الخياط (أحمد بن محمد بن علي الدمشقي) تحقيق خليل مردم بك، دمشق: المطبعة الهاشمية، ط١، ١٩٥٨م.
- ١٥- ديوان ابن الساعاتي، تحقيق أنيس المقدسي، بيروت: مطبعة كلية الآداب والعلوم، ط١، ١٩٣٩م.

- ١٦- ديوان ابن سناء الملك، تحقيق د. محمد ابراهيم نصر، القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٩م.
- ١٧- ديوان طلائع بن رزيك، تحقيق محمد هادي الأميني، النّجف: المكتبة الأهلية، ط١، ١٩٦٤م.
- ١٨- ديوان ظافر الحداد، تحقيق د. حسيني نصّار، القاهرة: مكتبة مصر، ط١، ١٩٦٩م.
- ١٩- ديوان العماد الأصفهاني، تحقيق د. ناظم رشيد، الموصل، جامعة الموصل، ط١، ١٩٨٣م.
- ٢٠- ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٤٦م. (٩)
- ٢١- ديوان فتيان الشاغوري، أحمد الجندي، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط١، (٩).
- ٢٢- ديوان ابن قلاقس، تحقيق سهام الفريح، الكويت: مكتبة دار العروبة، ط١، ١٩٧٩م.
- ٢٣- ديوان ابن منير الطرابلسي، تحقيق عبدالسلام تدميري، بيروت: دار الجبل ط١، ١٩٨٦م.
- ٢٤- ديوان ابن النبيه، تحقيق عبدالله فكري، القاهرة: مطبعة عبدالغني فكري ط١، ١٢٨٠هـ.
- ٢٥- ذيل تاريخ دمشق، ابن القلانسي، تحقيق د. سهيل زكار، دمشق: دار حسان، ط١، ١٩٨٣م.
- ٢٦- رحلة ابن جبير، لابن جبير الأندلسي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، (٩).
- ٢٧- (كتاب) الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة المقدسي، القسم الأول، الثاني تحقيق، محمد حلمي، القاهرة: لجنة التأليف، ط١، ١٩٥٦-١٩٦٢م، والجزء الثاني بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤م.
- ٢٨- سفرنامه، ناصر خسرو علوي، ترجمة د. يحيى الخشاب، القاهرة: لجنة التأليف، ط١، ١٩٤٥م.
- ٢٩- السلوك لمعرفة دول الملوك، المقرئزي، القاهرة، ط١، ١٩٥٦م
- ٣٠- سنا البرق الشامي، اختصار الفتح البنداري، تحقيق ط. رمضان ششن، بيروت: الكتاب الجديد. ط١. ١٩٧١م.
- ٣١- شعر الجهاد في الحروب الصليبية في الشام، محمد الهرفي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٩م.
- ٣٢- شعر ابن القيسراني، تحقيق د. عادل جابر، الزرقاء: وكالة الرأي، ط١، ١٩٩١.
- ٣٣- صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، د. محمود ابراهيم، عمان: دار البشير، ط٢، ١٩٨٨م.
- ٣٤- صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، بيروت: دار الرسالة،

ط١، ١٣٩٤هـ.

- ٣٥- الفيح القسي في الفتح القدسي، العماد الأصفهاني، تحقيق محمد صبح - القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ط١.
- ٣٦- القدس ومعاركنا الكبرى، محمد صبح، مصر، ط١، ١٩٧٠م.
- ٣٧- قصة الحضارة ول ديوارنت، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، ط١. ١٩٥٧م
- ٣٨- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢-١٩٨٠م.
- ٣٩- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ابن الجوزي، الهند: حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٥١م.
- ٤٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية، ط١. ١٩٣٦.
- ٤١- حلمي الكيلاني (موقف العماد الأصفهاني من حروب المسلمين والفرنج - من خلال شعره)، مؤتة للبحوث، جامعة مؤتة الكرك، المجلد السادس، العدد الثاني ١٩٩١م.
- ٤٢- عبد القادر أبو شريفة (صورة البطل المسلم في شعر الحروب الصليبية)، مجلة جامعة عمان الأهلية، عمان، المجلد الأول، العدد الأول، ١٩٩١.
- ٤٣- مصطفى عليان (صورة البطل المسلم والتصور الإسلامي) مجلة دراسات، الجامعة الأردنية عمان المجلد الحادي عشر، العدد الرابع، ١٩٨٧م.